ويَحْيى بن عبد الرَّحيم الحنبلي، وجمال الدين بن مالك، وتأدب به، وبرع إلى أن عُيِّن غير مرة لقضاء الحنابلة. وفاق الأقران في حسن النظم والنثر والكتابة، وكتب الإنشاء بدمشق، ثم بمصر، وولي كتابة السِّرّ بدمشق إلى أن (مات). ونظمه كثير يزيد على ثلاثة مجلدات. ونثره يدخل في ثلاثين مجلداً. كذا قال الصفدي. وله كتاب (حسن التوسل في صناعة الترسل). قال البرزالي في معجمه: فاضل في الإنشاء وجودة الشعر، فاق أهل عصره وأربى على كثير ممن تقدمه، ومن نظمه: [من الطويل]

تَشَنَّى وأغصانُ الأراكِ نواظرٌ ... فَنُحْتُ وأسرابٌ من الطيرِ عُكَّفُ[1]

فَعلّمَ باناتِ النَّقا كَيْفَ تَثْنَني ... وعَلَّم وَرْقاءَ الحِمَى كَيْفَ تَهْتِفُ[2]

ومن غرر قصائده القصيدة التي مطلعها: [من الطويل]

هَل البدرُ إلَّا ما حَواهُ لِثامُها ... أو الصبحُ إلَّا ما جَلاه ابْتِسَامُها[3]

وشعره مشهور قد أورد منه المصنفون في الأدب بعده شيئاً كثيراً، وكذلك نثره. (ومات) بدمشق في ثاني وعشرين شعبان سنة ٧٢٥ خمسٍ وعشرين وسبعمائة.

٥٤٢

(السلطان مَحْمُود بن عبد الحميد سُلطان الروم)

في هذه الوقت، أخبرنا من وَفَدَ إلينا من أهل تلك الجهات أنه ولي السلطنة في سنة (١٢٢٢)، ووصفوه بالعلم والزهد وحسن الخطّ والعدل، وأنه يأكل من عمل يده تحرِّياً للحلال هذا، وهو سلطان الدنيا وملك العالم، وهو الذي أمر الباشا بمصر أن يجهز الجيوش على صاحب نجد المتقدم ذكره، فجهز عليه جيشاً بعد جيش، وما زال يحاربه عاماً بعد عام حتى حصره في محله ووطنه، وهي القرية المعروفة بالدرعية. ثم ما زال الجيش يضرب بالمدافع على تلك القرية ليلاً ونهاراً حتى أخرب كثيراً منها. ثم أذعن صاحبها وهو عبد اللَّه بن سُعود بن عبد العزيز، وسلّم نفسه إلى أيديهم، وأدخلوه الروم في سنة (١٢٣٣)، وكان الأمير على الجنود الرومية ابن الباشا صاحب مصر، وهو إبراهيم بن مُحمَّد علي. ثم بعث مُحمَّد علي بابن أخيه الباشا خليل بجيوش الروم، وكان والياً على مكة فخرج إلى الديار التهامية من اليمن على الشريف

---

(١) الأراك: شجر كثير الفروع، طيب الرائحة، تُتَّخذُ منه المساويك. عُكَّفٌ: جمع عاكف: مقيمٌ في المكان، ملازمٌ له.

(٢) بانات: شجرات بانٍ، وهو ضرب من الشجر، أغصانه مستوية، لينةٌ، دقيقة. النقا: الكثيب من الرمل. ورقاء الحِمَى: الحمامة.

(٣) اللثام: النقاب يُوضع على الفَم. حواه: حازه، واشتمل عليه. جلاه: كشفه وأبرزه.

أحمد بن حَمُّود فاستولى على جميع البلاد العريشية صفواً عفواً بلا ضربة ولا طعنة، ثم استولى على جميع ما قد كان استولى عليه الشريف حَمُّود من البنادر والمدائن اليمنية، وهي اللحية والحديدة وبيت الفقيه وزبيد وما يتصل بهذه المحلات، فارتجف اليمن بأسره ولم يبق عند أحد من أهله شكّ أنه سيطوي الديار اليمنية في أسرع وقت. ثم كان من الألطاف الإلهية أنها وصلت كتب من الباشا مُحمَّد علي، ومن الباشا خليل مؤذنة بالمصالحة وعدم التعدي إلى غير ما قد وصلوا إليه. وما زالت الرسل تختلف من الجهتين، وكانت المكاتبة والمراسلة بينهم وبين مولانا الإمام حفظه اللَّه تدور باطلاعي حتى انتهى الأمر إلى إرجاع جميع البلاد التي كانت مع الشريف حمود وولده إلى الإمام، فعادت كما كانت وللَّه الحمد بعد أن حصل اليأس عن جميع المملكة اليمنية. وهكذا تجري الألطاف الربانية بما لم يكن في حساب العبد. وقد نفذ إليها عند تحرير هذه الأحرف العمال والرتب واستقروا بها. وجعل مولانا الإمام على البلاد العريشية الشريف علي بن حيدر كما كان عليه الأشراف في المدة الماضية قبل ظهور مظهر صاحب نجد واعتزاء الأشراف إليه، وقد أدخلوا أحمد بن حمَّود الروم وأدخلوا معه جماعة من الأشراف. وكان الشريف حَسَن بن خالد الحازمي وهو المتكلم في دولة الشريف والوزير والقاضي والمفتي والأمير للجيش في كثير من الحالات والمنفذ للأحكام قد لجأ إلى بلاد عسير فتبعه جماعة من الروم فقتلوه هنالك بعد حروب. والآن ولده باقٍ هنالك، وقد تجهز إليه طائفة من الأتراك بعد مفارقتهم للبلاد التهامية والبلاد العريشية، وسيأتي تمام وصف حادثة الروم هذه في ترجمة الأغا يُوسُف المتوسط في القصة إن شاء اللَّه.

(٥٤٣)

(مَحْمُود بن عبد الرَّحْمٰن بن أحمد بن مُحمَّد بن أبي بَكْر بن عليّ شمس الدين الأصبهاني)[1]

ولد بأصبهان في شعبان سنة ٦٧٤ أربع وسبعين وستمائة، وأخذ عن علماء بلاده كوالده، وجمال الدين بن أبي الرجاء، ومهر في الفنون، وحجَّ في سنة (٧٢٤)، ودخل دمشق بعد زيارة القدس، فبهرت أهلها فضائله، وقال ابن تيمية لما سمع كلامه: إنه ما دخل البلاد مثله. وكان يلازم الجامع الأموي ليلاً ونهاراً مكبّاً على

(١) ترجمته في: الأعلام: ١٧٦؛ الدرر الكامنة: ٤/ ٣٢٧؛ بغية الوعاة: ٣٨٨؛ شذرات الذهب: ٦/ ١٦٥؛ كشف الظنون: ٢٣٥، ١٣٧١؛ إيضاح المكنون: ١/ ١٤٣؛ هدية العارفين: ٢/ ٤٠٩؛ معجم المؤلفين: ١٢/ ١٧٣.